قال أحدهم « إن مبدأ حماية التجارة الحديث أي حصر المباراة الأجنبية وتنشيط التجارة الداخلية وجعلها حرة ما أمكن كان صفة من الصفات اللازمة لسياسة الرجال الذين قاموا في عصر مونرو بتأسيس الممالك. وهذه الحماية الحديثة هي في الاكثر من عمل الاميركيين » فأراد زعماء الامة عملا بمبدإ مونرو ان يدفعوا عن أميركا فساد المفسدين كما هو الحال في حماية ولدقاصر تنثني قدماه لاقل صلابة تلقيانها في الأرض ويطبق أجفانه بما يتخطف بصره من نور الشمس المشرقة. وإذ رأى مونرو بلاده قاصرة وذات منعة وقوة طمح الى ضمان هذه القوة فيها ليكون لسان حال كل أميركي بعد يخاطب به الاوربي : إني ذاهب الى بلادك لانك في حاجة اليّ ولكن لا تجيء اليّ اذ ليست حاجتي ماسة اليك

وجاء بعد مونرو من دعم مبدأه في حماية التجارة ومن قال بحريتها المطلقة مثل الاقتصادي هنري كاري . بيد انهم عادوا جملة الى رأي مونرو ووجدوا فيه سلامة تلك الامة وقالوا ان الحماية معقولة وهي القاعدة العامة التي تقوم عليها الممالك المتمدنة ثم جرت حرب من أجل حماية التجارة بين سكان الشمال والجنوب كان داعيها وضع الضرائب على القطن والتبغ وهما من المواد الاساسية في الصادرات . والتقى الحزبان بالسلاح فغلب أهل الشمال أهل الجنوب فقوي عندئذ مبدأ حماية التجارة وصارت من العناصر الحيوية للامة حتى اذا كانت سنة ١٨٩٠ صدر منشور ماكنلي في هذا المعنى والدعوة الى الاحتفاظ به ولم يعف في منشوره من الضرائب الباهظة الا واردات بعض المواد الاولية والغلات مثل السكر والرقى بالضرائب الصوف

الخشن وأنواع الحرير والحديد والفولاذ وغزل القطن والقطنية والمنسوجات المختلفة والخمور والكحول والاعمال الصناعية . فتضررت من ذلك كل من المانيا وانكلترا وفرنسا . ثم جعلت الحماية سنة ١٨٩٧ من ٥٥ الى ٦٠ في المئة من ثمر الحاصلات وعقدوا بعض معاهدات تجارية مع بعض الدول ظل فيها حق حماية تجارة الاميركان سالماً لم يمس بسوء واحتفظ الاميركي بالدفاع عن حماه من انهيال الواردات الاجنبية عليه كما خاف على سلامة بلاده من غارة الجماعات المهاجرة الى بلاده

ومذ ثبتت قدم الحرية في أميركا سنة ١٨٢٠ قذفت اوربا الى العالم الجديد بسيل من البشر من طليان والمان وسلافين وبولونيين وبوهيميين وانكليز واسكندنافين وفرنسويين وصينيين . فهاجر الى بلاد الدولار منذ سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٧٠ زهاء سبعة ملايين ونصف من الخلق . وكان الصيني أكثر المهاجرين امتصاصاً لمادة البلاد . والصينيون يهاجرون وتبقى قلوبهم معلقة ببلادهم ومساقط رؤوسهم ولا تزال تحدثهم نفوسهم في غربتهم بالعودة الى ربوعهم حتى انهم ليضنون بجثث موتاهم عن أن تدفن في أرض الغربة فهم أشبه بطيور تمر بناحية وهي مفترسة شرسة فلا تعدم ان ترجع ادراجها وتروح الى أوكارها القديمة حاملة في مخالبها فريسة وقنيصة . فقد قدر أن ما بعث به الصينيون المقيمون في الولايات المتحدة منذ سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٧٨ بلغ مئة وثمانين مليون دولار كانت معظمها من ولاية كاليفورنيا وبلغ من إعنائهم اهل تلك البلاد ان قامت الفتنة عليهم سنة ١٨٧٩ . ومع هذا دامت مهاجرة الصينيين متواصلة . وسنة ١٨٨٨ حظرت الولايات المتحدة دخول الصينيين البلاد الى مدة عشرين سنة ولم ينفذ هذا القانون حق التنفيذ رغم العناية بتأكيده

وما برحت الولايات المتحدة تشدد في نزول فقراء المهاجرين بلادها حتى قضت في العهد الاخير ان لا تقبل الفقير المعوز ولا المريض العاجز مالم يقدم الداخل ضمانة مالية أو يؤكد بان لديه مبلغاً من المال ويفحص فحصاً طبياً دقيقاً. فمن ثم باتت البلاد في مأمن من حيث الامور الاقتصادية لا تضاهيها في ذلك مملكة في الارض . قال باتان أحد أساتذة مدرسة فيلادلفيا الجامعة : تحتاج الامم القوية أن تدفع عنها عوادي الامم الضعيفة كما تحتاج الامم الضعيفة أن تدفع عنها عوادي الامم القوية . وقد خصت الولايات المتحدة بأن كان لها على اوربا التقدم الطبيعي فملكت سطحاً من الارض لم تعمل فيه أيدي العاملين ولم تستخرج خزائنه وخيراته. وفي أوربا يثقل كاهل الناس بضرائب باهظة لان ثروة الارضين قد احتكرها افراد معلومون . حتى لقد تضطر الحكومات ان تضرب ضرائب على أجور العمال . وهي ضريبة لا أثر لها في أميركا . ولذا قضت الحال على هذه البلاد ان تحتفظ بمبدإ حماية تجارتها سواء كان في الحاصلات الزراعية أو في النواتج الصناعية واذا خفضت حكومة الولايات المتحدة الرسوم الجمركية ونزعت ما يحول دون تلك الحواجز من مطامع الامم تنهال غلات الامم الزراعية أي انهيال ويحدث لها نفوذ في الاسواق الداخلية وتقل أثمان وارداتها بحيث تجاري الغلات الاميركية وتباع أسهل بيع بحيث تصبح أميركا وهي تؤدي دخلها العقاري لتلك الامم المزارعة فتتضرر الاجور للحال ويهدد نجاح صناعة الامة من هذا الوجه فتجارة الولايات المتحدة لا تحمى لكونها في حالة الطفولية بل حباً بالاحتفاظ بعلو مرتبتها الحاضرة المحققة في أوربا اهـ.

ولقد عظمت النتائج الاقتصادية بهذا الفكر فتضاعف عدد الاماكن

في ثلاثة أرباع قرن كما تضاعفت القوة الصناعية وارتقى عدد الغلات من ١٥ ملياراً الى ٦٥ ملياراً . ويظهر من تقرير نشره مكتب الاحصاء في واشنطون منذ سنتين في معنى تجارة أميركا مع العالم أجمع ان الولايات المتحدة أول قوة إقتصادية في الكرة الارضية ولا نكلترا المقام الثاني . ففي الولايات المتحدة ينبت ٧٥ في المئة من مجموع غلات القطن في العالم وهي تحرص على إبقائها لعاملها خاصة . من أجل ذلك مافتئت تبني المعمل أثر المعمل حتى زادت الآلات في معاملها ٢٢ في المئة على حين لم تزد في معامل أوربا على عشرة في المئة . ومن جملة مابني معمل فيه خمسمائة الف آلة ومغزل و١٢ الف نول في ضواحي سان لويس . تلك المدينة التي قام فيها معرض أميركا سنة ١٩٠٤ في بقعة مساحتها خمسمائة هكتار من الارض وكلف من النفقات ٢٥٠ مليوناً وهو ضعفا معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ وأربعة اضعاف معرض باريز سنة ١٩٠٠ . معرض دهش له عالم الصناعة والتجارة .

ولا غرو في هذا فانك تعرف مقدار ارتقاء هذه الامة من أرقام وارداتها وصادراتها فقد كانت وارداتها سنة ١٨٩٧ — ٩٨ — ٢٧٠،٢٤٨،٨٠٣٠ فرنكا وصادراتها ٦٥،٤١١،١٥٢،٦ فرنكا ومجموع تجارتها ٩٢٠،٦٥٩،٢٣٧،٩ فرنكا وارتقت وارداتها سنة ١٩٠٢ — ٩٠٣ الى ٦٤٠،٧٥٧،١٢٨،٥٠ وصادراتها الى ٧٠،٦٩٠،٤٠٠،٧ ومجموع تجارتها الى ٧١٠،٤٤٧،٢٢٩،٠١٢ . ومن ذلك يدرك القاريء ولا شك ماتم من النجاح في تلك البلاد بفضل مبدأ مونرو وهو كما وصفه أحد علماء الالمان الانجيل السياسي الذي تراه معلقاً في شوارع الولايات المتحدة لعهدنا وبفضله كفت عنها غارة الاوروبيين ووقيت سوء المغبة في شؤونها المالية